نقد الفهم الاستشراقي للتعدّديّة الدينيّة في القرآن (موسوعة ليدن نموذجًا)

الشيخ الأسعد بن علي قيدارة[١]

الملخّص

يتناول هذا البحث مفهوم التعدّديّة الدينيّة بوصفه أحد المفاهيم المركزيّة التي انشغلت بها الدراسات والموسوعات القرآنيّة الاستشراقيّة؛ إذ خُصّصت له مداخل مستقلّة في موسوعات كبرى، ودُوِّنت دراسات وكتب حول التنوّع الديني في القرآن، والموقف من الأديان الأخرى وأتباعها.

ومسعى هذا البحث نقد القراءة الاستشراقية لمفهوم التعدّديّة الدينيّة، من خلال تحليل مقالة «التعدّديّة الدينيّة» في موسوعة القرآن ليدن، بوصفها من أهم الأعمال الاستشراقيّة القرآنيّة المعاصرة. والكشف عن التحيّز والقلق المعرفيّ والتردّد والتناقض في هذا الفهم.

وبالتالي، فهو يعالج الموضوعات الآتية: بنية مقالة التعدّديّة الدينيّة ومضامينها؛ وموقف القرآن من التعدّديّة الدينيّة؛ والتعدّديّة الدينيّة في القرآن بين الوهم والحقيقة؛ ثمّ القراءة الاستشراقيّة والفرضيّات المتوارية.

[١]- باحث تونسي متخصّص في علم الكلام ومناهج العلوم الإسلاميّة.

الكلمات المفتاحيّة: التعدّديّة الدينيّة، موسوعة القرآن ليدن، الاستشراق، المناهج الاستشراقيّة، منهج الفهم.

المقدّمة

من المفاهيم التي اعتنت بها الدراسات والموسوعات القرآنيّة الاستشراقية مفهوم التعدديّة الدينيّة؛ إذ خُصّص له عنوان أساسيّ في مداخل عدد من هذه الموسوعات، كما دُوّنت دراسات وكتب تتمحور حول قضايا التعدديّة الدينيّة والتنوّع الديني في القرآن الكريم، والموقف من الأديان الأخرى وأتباعها.

ومن أبرز ما أنتجته المؤسّسة الاستشراقيّة في هذا الميدان: ما تضمّنته **موسوعة القرآن الكريم** الصادرة عن دار بريل في ليدن، وفيها مدخل خاص بـ«التعدديّة الدينيّة والقرآن»[١]، ومدخل آخر عن «أهل الكتاب»[٢]، يحلّلان النظرة القرآنيّة إلى التنوّع الديني وحريّة الاعتقاد ضمن السياق اللاهوتي للنص القرآني. كما تناولت **موسوعة الإسلام والمسلمين** موضوع التعدّديّة القانونيّة والعرقيّة الدينيّة[٣]، يدرس المركز القانوني والديني للطوائف الكتابيّة في القرآن والممارسة التاريخيّة المبكرة.

وأفردت **موسوعة كامبريدج المرافقة لدراسة القرآن** فصلاً بعنوان: «القرآن والأديان الأخرى»[٤]، تناول فيه عبد العزيز ساشادينا العلاقة بين النص القرآني والديانات الأخرى. أمّا في الدراسات المتخصّصة، فقد قدّمت جين دامين مكأولف كتابًا بعنوان: «**المسيحيون في القرآن: تحليل للتفسير الكلاسيكي والحديث**»[٥]، تناولت فيه صورة المسيحيين في القرآن كما عالجها المفسّرون القدماء والمحدثون. كما

[١]- انظر: مكأولف، جين دامين؛ فريق التحرير المساعد، مدخل: التعددية الدينيّة والقرآن، المجلد الرابع، ص٣٩٩-٤٠٣.

[٢]- انظر: مكأولف، جين دامين، مدخل: أهل الكتاب، موسوعة القرآن الكريم، الصادرة عن دار بريل في ليدن.

[٣]- انظر: شنايدر، إيرين وآخرون، مدخل: التعددية القانونية والعرقية الدينيّة.

[٤]- ساشادينا، عبد العزيز، الفصل الرابع عشر: القرآن والأديان الأخرى.

[٥]- انظر: مكأولف، جين دامين، المسيحيون في القرآن: تحليل للتفسير الكلاسيكي والحديث.

ألّفت جروشا تانر لامبتي كتاب «**ليس الآخر أبدًا: لاهوت مسلمة للتعددية الدينيّة**»[١]، الذي بحث في تصوير القرآن للآخر الديني، والتمييز بين الاختلاف الديني الأفقي وبين الاختلاف التقويمي أو الهرمي، ودور مفاهيم الأمة والتقوى والوحي في بناء نظريّة للتعدديّة الدينيّة.

وقدّم منعم سري كتاب «**الجدل النصي: القرآن والأديان الأخرى**»[٢]، وهو دراسة نقدية للنصوص الجدلية المتّصلة بخمسة محاور مركزيّة: تجاوز الكتب السابقة أو نسخها، وحصرية النجاة، واتّهام اليهود والمسيحيّين بتحريف الوحي، ونفي البنوة الإلهيّة والتثليث، والقيود المتعلّقة بعلاقات المسلمين باليهود والمسيحيّين. ويُعدّ هذا الكتاب من المراجع المعاصرة التي تختبر الأطروحة التعدديّة في مواجهة النصوص القرآنيّة التي تبدو حصرية، ودراسة كيفيّة معالجة المفسّرين المحدثين لهذا التوتر؛ مع التنبيه إلى أنّ انتماء الباحث إلى الوسط الأكاديمي الغربي لا يعني بالضرورة انتماءه إلى الموقف الاستشراقي التقليدي.

كما تناول رامون هارفي في كتابه «**القرآن والمجتمع العادل**»[٣] قراءة أخلاقيّة واجتماعيّة نسقيّة للقرآن، تشمل بنية المجتمع المتعدد عقديًّا في المدينة ومكّة. ويعالج يوهانان فريدمان في «**التسامح والإكراه في الإسلام: العلاقات بين الأديان في التقليد المسلم**»[٤] إشكالية آيات السيف مقابل آيات التسامح وحرية الاعتقاد في النص القرآني والتراث التفصيلي. أما غابرييل سعيد رينولدز، فقد قدّم في «**القرآن وسياقه الكتابي**»[٥] دراسة للإشارات القرآنيّة المتعلّقة بالتقاليد اليهودية والمسيحية، وكيفيّة الاستفادة من الأدبيات الكتابيّة السابقة لفهم القصص والشخصيات القرآنيّة، مسهمًا في إعادة بناء البيئة الدينيّة التي ظهر فيها القرآن وتحليل علاقته بالتقاليد

[١]- انظر: لامبتي، جروشا تانر، ليس الآخر أبدًا: لاهوت مسلمة للتعددية الدينيّة.

[٢]- انظر: سري، منعم، الجدل النصي: القرآن والأديان الأخرى.

[٣]- انظر: هارفي، رامون، القرآن والمجتمع العادل.

[٤]- انظر: فريدمان، يوهانان، التسامح والإكراه في الإسلام: العلاقات بين الأديان في التقليد المسلم.

[٥]- انظر: رينولدز، غابرييل سعيد، القرآن وسياقه الكتابي، دراسات روتليدج في القرآن، المجلد العاشر.

السابقة. ثم وسّع هذا المسار في كتابه «**القرآن والإنجيل: النص والتعليق**»[١]، بدراسة مقارنة واسعة تبحث في طبيعة الخطاب القرآني تجاه الأديان السابقة، وموقف النصّ من اليهوديّة والمسيحيّة بيئيًّا ونصيًّا.

ولما لم تكن غايتنا الاستقصاء الببليوغرافي، نكتفي بهذا الجرد المحدود؛ فهذا المقدار كافٍ للتدليل على أهميّة هذا الموضوع وحضوره اللافت في الاستشراق القرآني. ولمّا كانت **موسوعة القرآن** في ليدن من أهم الأعمال الاستشراقية القرآنيّة إلى الآن، ستكون قراءتنا للمقالة التي جاءت في هذه الموسوعة عن التعدديّة الدينيّة نموذجًا لنقد هذا الفهم الاستشراقي، الذي نراه غارقًا في التحيّز والقلق المعرفي والتردّد والتناقض.

وسنسير في دراستنا وفق هذا التمشّي:

- **أوّلًا:** مقالة التعددية الدينيّة: البنية والمضامين
- **ثانيًا:** هل حوى القرآن موقفًا من التعدّديّة الدينيّة؟
- **ثالثًا:** التعدّديّة الدينيّة في القرآن بين الأوهام والحقائق
- **رابعًا:** القراءة الاستشراقيّة والفرضيّات المتوارية

أوّلًا: مقالة التعدّديّة الدينيّة في موسوعة القرآن ليدن: البنية والمضامين

جاءت المقالة في اثنتين وعشرين صفحة، وتُعدّ من المقالات الطويلة نسبيًّا في نسيج مقالات الموسوعة؛ إذ لا يتجاوز حجم أغلبها عشر صفحات.

أمّا من حيث المضمون، ففي قراءة متأنّية للمقالة يمكن القول إن قوامها تمهيد وأربعة أقسام:

[١]- انظر: رينولدز، غابرييل سعيد، القرآن والإنجيل: النص والتعليق.

في التمهيد، أشارت الكاتبتان إلى أنّ النصّ القرآني يتضمّن إشارات عديدة إلى الأديان التي كانت سائدة في زمن نزوله. ورغم اعتقاد المسلمين بأنّ النبي محمّدﷺ هو خاتم النبيّين، إلّا أنّ النصّ القرآنيّ يتحدّث عن فئات مختلفة، بل يعبرّ بواقعيّة عن خصوم وقفوا ضدّه كدين، كالمنافقين. كما يؤكّد النصّ على التصنيف المتعدّد والمختلف للفئات الدينيّة.

وفي قسمها الأوّل، استعرضت المقالة المفردات القرآنيّة الدالّة على الدين أو على الجماعات الدينيّة المختلفة، وقد توزّعت هذه المفردات إلى:

- مصطلحات عامّة: دين، وملة، وعبادة.

- مصطلحات يستحسنها القرآن: إسلام، وحنيف، وشريعة.

- مصطلحات تعبرّ عن التسامح القرآني: أهل الكتاب، وأهل الذمّة.

- مصطلحات تعبرّ عن التجاذبات والانقسامات: الأحزاب، والشيعة.

وفي القسم الثاني، تناولت المقالة دراسة المجتمعات الدينيّة التي عرض لها القرآن، وهي: اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والحنفاء والمشركون والوثنيون.

وفي القسم الثالث، عالجت المقالة المؤشّرات القرآنيّة للتفاعل بين الأديان من خلال رصد:

- الوقائع: كالحبشة ونجران.

- الخطابة: كالجدل والدفاع.

وفي القسم الأخير، تجيب المقالة عن السؤال المركزي عن الموقف القرآني من التعددية الدينيّة، كما تتناول بعض السياقات التاريخيّة لتعاطي المسلمين مع الآخر وموقفهم من الأديان الأخرى، وكيف أثّرت الظروف التاريخيّة في تشكّل فهم المسلمين للنظريّة القرآنيّة في التعدّديّة.

إنّ القراءة الفاحصة للمقالة تجعل القارئ يتفاجأ بالكمّ الهائل من المشكلات الشكليّة والمضمونيّة والمنهجيّة، ويصطدم بحجم التشتّت والتلاشي الذي يستبدّ به وهو يعيد قراءة المقالة مرة بعد أخرى، وبكمّ التردّدات الكثيرة، والأفكار التي تتكرّر في أكثر من مقطع من المقالة. وممّا زاد الأمر تعقيدًا كثرة الاستطرادات، والانتقالات الفجائية من مسألة إلى أخرى، بمناسبة وبدونها، مما يعقّد بدوره عمليّة الفهم والمتابعة.

وفي هذه الدراسة النقدية سنكتفي بالمراجعة التقويميّة للمطلب الأخير وسؤال: هل يحتوي القرآن نظريّة في التعدّديّة الدينيّة؟

إنّ الدعاية الكبيرة لهذه الموسوعة، والصدى الكبير الذي لاقته، واعتبارها أهم عمل أكاديمي غربي أُنجز حول القرآن الكريم في مرحلتنا المعاصرة، يدعونا إلى مقاربة النقد بحذر ودقة، خاصّة وأنّ إحدى كاتبتي المقالة هي رئيسة تحرير الموسوعة، وهي التي اشتُهرت بالتخصّص في الدراسات القرآنيّة واكتسبت سمعة أكاديمية في هذا المجال[١]. وقد كتبت المقالة بالاشتراك مع مساعدتها كلير وايلد.

[١]- من مواليد عام ١٩٤٤م، متخصّصة في الدراسات اللاهوتيّة والبحوث القرآنيّة والإسلاميّة. حائزة على البكالوريوس في الفلسفة واللاهوت من جامعة ترينيتي بواشنطن، وماجستير في الدراسات الدينيّة، وتابعت الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة تورنتو. عملت مدرّسة في جامعة تورنتو وجامعة إيموري، وعميدةً لكلية العلوم والآداب في جامعة جورجتاون بين عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٨م، وعملت خلال هذه المدة أستاذة في قسم التاريخ وقسم الدراسات العربية والإسلامية. ثم تولّت رئاسة كلية برين ماور بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠١٣م، وعملت عميدة مشاركة لكليّة اللاهوت في كاندر. وهي عضو في مكتبة الكونغرس، ورئيسة مكتب البرامج العلمية بالمكتبة، وعضو في لجنة الفاتيكان للحوار الإسلامي المسيحي. كما عُيّنت من بين الأساتذة الأميركيين في لجنة التحقيق الأميركية البريطانية في مجال الدراسات العليا حول العولمة، التي أسّسها رئيس الوزراء البريطاني السابق غوردن براون عام ٢٠٠٦م. نالت العديد من الشهادات الفخرية من عدة جامعات، منها ترينيتي بواشنطن وتورنتو ونوتردام، وآخرها دكتوراه فخرية في الآداب الإنسانية من كلية الصليب المقدس في مايو عام ٢٠١٩م. وكانت واحدة من مجموعة العلماء البارزين الذين وقّعوا على الوثيقة العامة، موضحين أن الإرهاب بعيد عن الإسلام الحقيقي، وداعين جميع الأميركيين إلى احترام حقوق الأمريكيّين المسلمين، الذين يبلغ عددهم نحو ثمانية ملايين مسلم في الولايات المتحدة. أضحت الدكتورة مكأولف شخصيّة لها شهرة عالميّة في دراسة الأديان، حيث تمركزت مؤلّفاتها حول القرآن والتفسير والتاريخ الإسلامي المبكر، والعلاقة بين الإسلام والمسيحيّة.

ومن مؤلّفاتها:

- المسيحيون في القرآن: تحليل للتفاسير الكلاسيكيّة والحديثة.

- رفيق كامبريدج إلى القرآن، عن مطبعة جامعة كامبريدج، عام ٢٠٠٦م.

- القرآن، في طبعة نورتون النقديّة.

ثانيًا: هل يحوي القرآن نظريّة في التعدّديّة الدينيّة؟

السؤال المركزي الذي طرحته المقالة، والتي استندت في الإجابة عنه إلى التمشي الذي عرضناه باختصار، هو: هل استنتاج موقف قرآني من التعدّديّة الدينيّة؟

وفي مقام الإجابة، تؤكّد المقالة مرة أخرى صعوبة فهم الموقف القرآني من التعدّديّة، وأنه لا يوجد موقف واحد من الأديان الأخرى، وأن المفسّرين أنفسهم دوّنوا هذه الاختلافات في الموقف من أتباع الديانات الأخرى، حتى في حياة النبيّ ﷺ.

وتستند المقالة إلى أن المفسّرين، وفق تعبيرها، والمفكّرين المتأخّرين اغتنموا هذا التنوع في المواقف لبناء آرائهم تأييدًا أو معارضةً لمعتقدات وأفعال غير المسلمين في المجال الإسلامي، بل للموقف من أصل وجودهم.

وكشواهد مؤيّدة لهذا الجواب القلق، تسوق الباحثتان قضيتين اثنتين:

الأولى: مختارات من المواقف الإسلاميّة الحديثة من القضيّة، وبعض الآيات التي استخدمها المسلمون بشكل مطّرد حول الأديان الأخرى. والثانية: الإرشادات القرآنيّة الممكنة لسلوك المسلم تجاه غير المسلمين.

القضيّة الأولى: تعرض الكاتبتان موقفين مختلفين من الأديان الأخرى وأتباعها. فتسوقان رأي القرضاوي الذي يسمح بالتعددية الدينيّة ويتسامح مع الأديان الأخرى، ما دام القرار بيد الدولة الإسلامية، وما دام المسلمون يسيطرون على دوائر القرار، والأقليات تلتزم بأحكام الشريعة في سلوكات غير المسلمين.

ومن جهة أخرى، تعرضان الرأي المقابل لبعض المفسرين التراثيين، كابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية، وسيد قطب المتوفى سنة ١٩٦٦ ميلادية، وما أسمَتْهُما

- ترجمة مقطع من تاريخ الطبري، المتوفّى سنة ٣١٠ هجرية، بعنوان: بدايات الحكم العباسي، عام ١٩٩٥م.

- تقديم كتاب الألفاظ الأجنبيّة في القرآن لتأليف آرثر جيفري، وهو دراسة تسعى إلى رصد الألفاظ الواردة من لغات أخرى، مثل اليونانيّة والفارسيّة والقبطيّة والأثيوبيّة والآراميّة.

- ومن الأعمال المهمّة التي أنجزتها رئاسة تحرير الموسوعة القرآنيّة موضوع بحثنا.

بالمتطرّفين المعاصرين، كأسامة بن لادن، الرافض للتعدّديّة الدينيّة والحاكم بطريقة سلبيّة على غير المسلمين.

وتدّعي المقالة أن هذه القراءة لا ترى حلاًّ شرعيًّا وسطًا أو تعاونًا مع غير المسلمين، أو حتى مع المسلمين الفاسدين.

وتعتقد الباحثتان أن المواضيع القرآنيّة، كعقاب الآخرة لغير المسلمين، ومعارضتهم لمحمدﷺ، واعتبار الإسلام الدين الصحيح الوحيد بنظر الله، وأن اليهود والنصارى غالوا في دينهم، كل ذلك يشكل قراءة مجرّحة بالأديان الأخرى، ورفضًا لشرعيّة التعدّديّة الدينيّة.

ومع رفض القرآن للتعدّديّة، كما صرّحت به الباحثتان أخيراً، يَطرح سؤال نفسه: ماذا ينصح القرآن المسلمين أن يفعلوا في وجه تعدّد الأديان؟ وهذا ما تجيب عنه المقالة في القضية الثانية.

القضية الثانية: من الآيات المهمّة في توجيه الموقف والسلوك الإسلامي نحو الآخر الديني قوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ (الكافرون: ٦). وقوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦)؛ وهي الآية التي تساق عادةً للاستدلال على التسامح الديني في الإسلام مع غير المسلمين.

ومع اعتراف الباحثتين بهذه الحقيقة، نراهما، كعادتهما، تشكّكان في ذلك، بالإحالة إلى تفاسير فسّرت الآيات بطريقة مختلفة، وأنها موَجّهة إلى قريش الذين استهزؤوا بتوحيد محمّدﷺ، كتفسير مقاتل، وتفسير ابن كثير. ومن المراجع التي تحيلان إليها مقالة في الموسوعة نفسها بعنوان: «الآيات الشيطانيّة» لشهاب أحمد[١].

وفي اعتماد عنوان كتاب سلمان رشدي «الآيات الشيطانية» عنوانًا لإحدى مقالات الموسوعة فيه ما فيه.

[١]- انظر: موسوعة القرآن ليدن، م. س، ج٤، ص٥٣١-٥٣٦.

وتستنتج الباحثتان: «إن إحصاء التفاسير الإسلامية يكشف أن تعدد المعتقدات الدينيّة ليس مقبولاً، لكنه مقبول كسمة لا غنى عنها للوجود الإنساني. وعمومًا لا يرى المفسّرون أن القرآن يدعو إلى دخول الإسلام بالقوّة، لكن من جهة أخرى لا توجد دعوة مزيّفة للسلام؛ فالذين لا يبالون برسالة القرآن وُعِدوا بالعقاب في الآخرة»[١].

وتؤكّدان أنّ هناك آيات واضحة الدلالة في دعوتها للإسلام باعتباره الدين الصحيح، وتنبيهها إلى البقاء على مسافة من أتباع الأديان الأخرى.

وتسوق المقالة آيات تعتبرها الأكثر شهرة في تحديد السلوك المناسب تجاه غير المسلمين، منها قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾ (التوبة: ٦). وقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ (التوبة: ٢٩).

أما الآيات التي اعتبرتها أقلّ تكرارًا في الاستشهاد، فهي:

قوله تعالى: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (المائدة: ٣).

قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ (الروم: ٣٠).

قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾ (الروم: ٤٣).

قوله تعالى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ (الزمر: ٣).

[١]- موسوعة القرآن ليدن، م. س، ج٤، ص٤١٥ العمود (ب).

قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣).

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

وتذكر المقالة بعض الآيات التي تتوقّف عند دلالتها على هذا المدّعى، ومنها قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور: ٢)؛ مع التساؤل: فما علاقة الآية بالموقف من الآخر؟

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (غافر: ٢٦)؛ وهذه على لسان فرعون في تحريضه على النبي موسى عليه السلام.

وفي كل الأحوال، تستنتج الكاتبتان من هذه الآيات أن القرآن يفصح عن موقف سلبي من أهل الكتاب؛ فهم غالوا في دينهم، وحرّفوا كُتبهم، وهو يحثّ المسلمين على البقاء على مسافة منهم، بل محاربتهم عند الضرورة. والموقف نفسه هو الموقف من الآخرين من غير المسلمين.

وتعتبر الباحثتان أن عاملين اثنين، هما التفاسير المتأخرة ومبدأ النسخ، كانا بمثابة العدسات التي ينظر من خلالها إلى القرآن، وكرّسا بذلك الموقف التقليدي تجاه غير المسلمين، وروّجتا هذه الثقافة في أوساط المسلمين.

وهنا تؤكّد الباحثتان على البون الفاصل بين أحكام القرآن والتفاسير، وتضربان لذلك مثالاً: وهو تنصيص القرآن على أن غير المؤمنين في الآخرة هم الذين يعاقبون، وإصرار المفسّرين المتأخّرين على تصنيف كل غير المسلمين في هذه الخانة، حتى

أهل الكتاب، مما شجّع على تحميل القرآن موقفًا عدائيًا من غير المسلمين عمومًا، بل ومن المسلمين غير الصالحين.

وأشارت المقالة في هذا السياق إلى اعتبار الإسلام دين العرب، وربطت ذلك بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب بناءً على نجاسة المشركين، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة: ٢٨).

كما تطرّقت المقالة إلى قضيّة المسيحيّين العرب والنظرة إليهم، وكيف رفض المسيحيّون العرب الجزية؛ لأنهم عرب، بناءً على التماهي الذي حصل بين العربي والمسلم.

وفي الختام، تعيد المقالة الفكرة نفسها عن تواجد اليهود والنصارى في المناطق الإسلاميّة الناطقة بالعربيّة بوصفهم أقليّات دينيّة محميّة، وهم أهل الذمّة، وإلى حد ما المانويون والزرادشتيون.

أمّا بالنسبة إلى وضع غير المسلمين في البلاد غير العربيّة، فتعيد الباحثتان الحديث عن تجربة الهندوس، وكيف وسّع المسلمون حماية الدولة لهم مقابل دفع الجزية.

وتستنتج المقالة أنه وفقًا للتمييز القرآني بين المسلمين وغير المسلمين، وللتوصية القرآنيّة بالتسامح مع غير المسلمين، سُمح لهؤلاء أن يعيشوا في البلاد الإسلامية، ولكن بصفة مواطنين من الدرجة الثانية:

In keeping with the Qur'anic differentiation between Muslims and non Muslims, and also with the Qur'anic injunctions of tolerance for non-Muslims, these non-Muslims have been allowed to live in Islamic lands, albeit as “second class” citizens[١].

[١]- موسوعة القرآن، م. س، ج٤، ص٤١٧ العمود (أ).

وتنهي الباحثتان المقالة بالتأكيد على أن التاريخ ما زال مستمرًا في تشكيل فهم القرآن وتفسيره، وأن الأحداث الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي، كالحروب الصليبيّة والاستعمار وقيام دولة «إسرائيل» والهجمة الإمبرياليّة الغربيّة، تؤثّر في توجّهات المفسّرين المسلمين المعاصرين؛ فيعتبرون أن الآيات التي تبدي تسامحًا مع غير المسلمين منسوخة بالآيات التي تتضمّن أحكامًا أشدّ قسوة.

ثالثًا: النظريّة القرآنيّة في التّعدّديّة الدينيّة بين الوهم والحقيقة

ونظنّ أنّ النتيجة التي وصلت إليها الباحثتان طبيعيّة حسب المسار الذي سلكتاه؛ لأنّ النتائج تتبع دائمًا أخصّ المقدّمات! فمن المنطقي -وإزاء هكذا مسار- أن نصل في نهاية المطاف إلى طريقٍ مسدودٍ. ففي ضوء التّمشّي الذي سلكته الباحثتان في القسمين الأوّل (المفردات) والثاني (المجتمعات) من دراستهما وبالنّظر إلى كلّ ذلك الرّكام من الإشكالات الفنّيّة، والمنهجيّة، والمضمونيّة، التي فصّلناها في مظانّها[١]، فكان من المتوقّع ألّا نبلغ نتيجةً دقيقةً وحاسمةً. وهذا يتجلّى بوضوحٍ في التّردّدات والتّناقضات: فمرّة تصرّح الكاتبتان: «لا يوجد موقفٌ قرآنيٌّ واحدٌ من الأديان الأخرى»[٢]، ومرة ثانية تصرّح: «لا يوجد حكمٌ قرآنيٌّ حيال التّعدّديّة الدينيّة»[٣]. ومرّة ثالثة تعتبر أنّ بعض الموضوعات القرآنيّة المرتبطة بالأديان الأخرى تعبّر عن «رفضٍ لشرعيّة التّعدّديّة الدينيّة النّاتجة عنها»[٤].

ويبدو أنّ الذي عقّد مهمّة الباحثتين أكثر، أنّ جوهر إشكاليّة المقالة تنبع من دراسةٍ قرآنيّة لمفهومٍ معاصرٍ تبلور حديثًا في الفكر الغربي، واللّاهوت المسيحي بالخصوص، وهكذا دراسةٌ تتطلّب الكثير من التّدقيق في فهم سياقات النّصّ، وحقوله الدّلاليّة، وتنقيح منهج واضح في فهم الآيات القرآنيّة واستنطاقها، وتفسير

[١]- انظر: المقالة الأصليّة: قيدارة، الأسعد بن علي، التعددية الدينيّة والقرآن الكريم، ص٥٠٣.

[٢]- موسوعة القرآن ليدن، م.س، ج٤، ص٤١٤ العمود (أ).

[٣]- م. ن، ص. ن. العمود (ب).

[٤]- م. ن، ص٤١٥، العمود (أ).

بعضها في ضوء بعضها الآخر، (فالقرآن يصدّق بعضه بعضًا ويفسّر بعضه بعضًا) لاستكشاف الموقف القرآنيّ، حتى لا نتورّط في إسقاطاتٍ بعيدةٍ عن روح النّصّ، أو رؤية تجزيئيّة تضّيق الرّؤية القرآنيّة في دائرة دلالات بعض آياته دون غيرها، أو نتورّط في توهّم التّناقض والتّهافت بين ظواهر الآيات كما حصل للباحثتين على ما يبدو.

وهذا الموقف التّقويميّ القلِق والمضطرب للنظريّة القرآنيّة في التّعدّديّة الدينيّة، جاء محفوفًا بالكثير من الاشتباهات والمصادرات كالنّظرة الاتّهاميّة لمصنّفي الملل والنحل، والنّظرة الاتّهاميّة للمفسّرين وتكريسهم لرؤيةٍ بعيدةٍ عن القرآن، موقف القرآن من العقاب الأخروي لغير المسلمين ...

وتوّج المسار أيضًا بقراءةٍ خاطئةٍ للموقف العملي الذي يوجّه الإسلام المسلمين له في التّعاطي مع الأديان الأخرى؛ حيث يبلغ الوهم مداه: «فإنّ المفسّرين المتأخّرين يميلون لتصنيف غير المسلمين، كلّهم حتى أهل الكتاب، في هذه الخانة مما شجّع على تفسير القرآن على أنّه يمكن أن يؤيّد موقفًا عدائيًّا تجاه غير المسلمين، وحتى تجاه المسلمين الذين لا يعتبرون مسلمين صالحين»[١].

١. أين الرؤية القرآنيّة؟

نظنّ أنّ الباحثتين اخطأتا في الكثير من جوانب الرؤية القرآنيّة للتعدّديّة الدينيّة، لذلك ينبغي -ليلمس القارئ البون الشاسع بين القراءة الاستشراقية لهذا المفهوم والقراءة الأصيلة الموضوعيّة- أن نقدّم الرؤية القرآنيّة الموضوعيّة حول التّعدّديّة: سنكتفي بعرض أصول الرّؤية القرآنيّة ومحدّدات النّظريّة القرآنيّة للأديان والتّعدّد الدّيني، وأسس منظومته الأخلاقيّة والسّلوكيّة في التّعامل مع الآخر.

أ. الإطار العام للموقف من الأديان في القرآن

فالقرآن لا يتعامل مع مثل هذه القضايا الكبرى في التّاريخ، كالموقف من الأديان بخفّة وانفعالاتٍ تتغيّر وفق الظّروف السّياسيّة، كما أشارت المقالة. بل للقرآن رؤيته

[١]- موسوعة القرآن، ليدن، م. س، ج٤، ص ٤١٤ العمود (ب).

الوجوديّة ومفهومه الفلسفي للكون والحياة والإنسان والتّاريخ، وهو يقدّم موقفه من التّنوّع الدّيني في سياق هذه الرّؤية الكونيّة وعلى أساس فلسفته للتاريخ والحضارة. ومن ضمن ما يقدّمه القرآن الكريم النقاط الآتية:

- **الأصل الإنساني المشترك الواحد**

فآيات كثيرةٌ أكّدت أنّ البشر أصلهم نفسٌ واحدةٌ، ينحدرون من أبٍ وأمٍّ واحدة، وهم أخوة في الخلق والإنسانيّة، وينتمون إلى إلهٍ واحدٍ، من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ**﴾ (الأنعام: ٩٨)؛ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣)؛ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ (النساء: ١). ومن ذلك الآيات: (سورة الأعراف، الآية ١٨٩)، (سورة الزمر، الآية ٦)..

وعبرّ القرآن عن هذا الأصل المشترك بآيات تحدّثت عن الأمّة الواحدة: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء: ٩٢)، و«الأمة جماعة يجمعها مقصدٌ واحدٌ، والخطاب في الآية على ما يشهد به سياق الآيات خطابٌ عامٌّ يشمل جميع الأفراد المكلّفين من الإنسان، والمراد بالأمّة النّوع الإنساني الذي هو نوعٌ واحدٌ، وتأنيث الإشارة في قوله (**هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ**) لتأنيث الخبر»[١].

- **قانون التّنوّع البشريّ والتّعدّديّة في اللّون واللّسان**

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ (الروم: ٢٢). وهذه سنّة من سنن الخلق والإيجاد، وآية من آيات الإبداع الإلهيّ، كخلق السّموات والأرض واختلاف الليل والنهار، انظر: (سورة آل عمران، الآية ١٩٠)، (سورة يونس، الآية ٦)، (سورة الجاثية، الآية ٥).

[١]- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٣٢٣.

- **وحدة المجتمع الدّيني الإنساني الأوّل وحتميّة الاختلاف**

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

تعدّ هذه الآية مركزيّة في توضيح فلسفة الوحدة الدينيّة الأصليّة للمجتمع الإنساني، أمّة واحدة: على دين التّوحيد كما جاء في الرّوايات، وإنّ الاختلافات ليس منها فكاك، فهي حتميّةٌ تفرضها طبيعة الإنسان ككائنٍ عاقلٍ ومريدٍ ومختارٍ، وكائنٍ اجتماعيٍّ تفرض عليه الحياة الاجتماعيّة تضارب المصالح، مما يتطلّب تنظيم الصّدام الذي يقود إليه هذا التّناقض وشرعنته. وعبرّت آيات عديدة عن سننيّة الاختلاف الدّيني، والحكمة منه:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: ١٩).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٣).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى: ٨).

وإحدى مشكلات المقالة أنّها أغفلت هذه البنية التّحتيّة لأطروحة التّعدّديّة الدينيّة في القرآن الكريم.

ب. الأصول العقائديّة لتعدّد الأديان

التعددية الدينيّة في المنظور القرآني تستند إلى أصول عقيدية، وركائز إيمانيّة، أهمها:

- **الإيمان بالرسل**

من أركان العقيدة الإسلاميّة التي بشّر بها القرآن: الإيمان بالرّسل والأنبياء وعدم التّفريق بينهم، كما نصّت الآيات على أنّ دين الله واحدٌ، وأنّه الإسلام: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ (آل عمران: ١٩)، وأنّ رسالات الأنبياء جميعًا، مهما اختلفت تسمياتهم التّاريخيّة وانتماءاتهم الاجتماعيّة والقبليّة، هي الإسلام الذي يتناغم مع تسليم الكون كلّه: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ (آل عمران: ٨٣).

﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة: ٢٨٥).

﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (النساء: ١٥٢).

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١).

- **عالميّة الإسلام العموديّة والأفقيّة**

الآيات التي أكّدت على كونيّة الإسلام وعالميّته: تعني تمحّض النّبوّات السّابقة في الإسلام، فكلّ الأنبياء دعوا إلى التّسليم لله والإقرار له بالوحدانيّة والعبوديّة، ويدلّ أيضًا على عموميّة رسالة الإسلام أنّه الدّين الإلهي الأخير لكلّ البشر، وأنّ

النّبيّ محمّدﷺ وريث النّبوّات وخاتم الأنبياء، وأنّ القرآن كتابٌ عالميٌّ مهيمنٌ على الرّسالات السّابقة:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وكذلك الآيات: (سورة النساء، الآية ٧٩)، (سورة الحج، الآية ٤٩)،...

أمّا الآيات الدّالّة على عالميّة القرآن الكريم، فمنها:

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١).

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ص: ٨٧) وآيات أخرى...

- **وحدة الدّين وتنوّع الشّرائع**

الالتقاء عبر التاريخ بين الأمم حول دين واحدٍ، لا يلغي تعدّد المناهج والشّرائع، وهذا ما نصّ عليه القرآن في آياتٍ عديدةٍ، منها:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ (الحج: ٦٧).

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨).

- **الأمم الغابرة أتباع الدّيانات السّابقة على سبيل نجاة**

في ضوء هذا المعتقد الرّاسخ لمفهوم الإسلام: تكون الدّيانات السّابقة في عصرها حقّانيّة وأتباعها على سبيل نجاة، وقد دلّت على ذلك آياتٌ عديدةٌ، مثل: (سورة البقرة، الآية ٦٣) و(سورة المائدة، الآية ٦١) و(سورة الحج، الآية ١٧).

وفي هذا السّياق، يرفض القرآن الكريم منطق انحصاريّة الهداية التي يدّعيها بعض أتباع الدّيانات، كما يرفض منطق انحصاريّة النّجاة والخلاص، ويؤكّد أنّ الله وحده سبحانه هو الذي يفصل بين النّاس يوم القيامة:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١٣).

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١١-١١٢).

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤).

ت. الضّوابط السّلوكيّة الأخلاقيّة والتّشريعات القانونيّة

وانطلاقًا من القاعدة الفكريّة المركزيّة للتعدّديّة وأصولها الاعتقاديّة، تتفرّع مجموعةٌ من الضّوابط السّلوكيّة الأخلاقيّة والتّشريعات العمليّة الفرديّة والمجتمعيّة التي نادى بها القرآن، ومن أهمّها:

- **حريّة العقيدة**

كقوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾** (البقرة: ٢٥٦).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

- **الدعوة إلى الحوار**

في مخاطبة الآخر، يدعو القرآن لاعتماد استراتيجيّة الحوار والجدال بالتي هي أحسن:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

ويتجلّى واضحًا من الآيتين الأوليين، التّوجيه نحو الالتقاء على المشترك الدّيني لتوسيع قاعدة الحوار (الكلمة السواء: وعبادة الله الواحد الأحد) في الآية الأولى، وفي الآية الثانية الإيمان بالمشترك الرسولي (أنزل إلينا وأنزل إليكم)، والإله الواحد.

- **الدعوة إلى السّلم**

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة: ٢٠٨).

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠).

- النّهي عن سبّ مقدّسات الآخرين

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧).

- الدّعوة إلى الوحدة وعدم التّفريق في الدين

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣١-٣٢).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

ث. المصادرات والاشتباهات

لم تخلُ المقالة خلال استعراض النّظرة القرآنيّة للتعدّديّة والتّوجيه السّلوكيّ للمسلمين من أحكامٍ، وأفكارٍ مسبقةٍ، أوقعتها في مغالطات واشتباهات، منها:

أ. التّعميم

التّعميم يُطيح بالموضوعيّة والرّؤية المتوازنة، ففي نقدها للنّزعة الجدليّة في كتب الملل والنّحل تطلق الباحثتان حكمًا عامًا، يتّهم كلّ مصنّفات الملل والنّحل برفض، لا الآخر الديني فقط، ولكن الآخر المذهبي أيضًا.

وإن كان التّحيّز المذهبي يغلب على كثيرٍ من مصنّفات الملل والنّحل، لكنّ الباحث المنصف لا يمكن إلّا أن يشيد بجهود علماء الكلام الإسلامي ومساهمتهم التّأسيسيّة لعلم الأديان المقارن، وقد اعترف الكثير من المستشرقين بهذه الجهود، ونوّهوا بالمصنّفات المميّزة التي نأت بنفسها عن الأسلوب الجدلي، وغلب على طابعها المنهج الوصفي، وجاء في الموسوعة البريطانية: إشادة بجهود المسلمين في دراسة الأديان:

Meanwhile, Islamic theology had an impact on western Christianity, notably upon medieval Scholastic philosophy, in which the values of both reason and revelation were maintained. Muslim knowledge of other religions was in advance of European knowledge[١].

حيث تنوّه الموسوعة بسبق المسلمين لدراسة الأديان، وبالجمع بين العقل والوحي عند المتكلمين المسلمين في هذه الدّراسة، الأمر الذي تفتقده الدّراسات الغربيّة للأديان، وها هو المستشرق آدم متز (**Adam Metz**) يرى أنّ الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣٠٢هـ) صاحب كتاب (الآراء والديانات) كان رائدًا في التّاريخ الإنساني في حقل دراسة الأديان، ويقول عنه: «مؤلّف أوّل كتاب له شأنٌ في الآراء والدّيانات»[٢].

[1]- The new Encyclopedia Britannica: «study of religion», Vol.15, P.615, by Safra, S.Yannias, James E.Goulka, 15th ed, 1998, Chicag.

رابط المادة: http: //iswy.co/e11mmt

[٢]- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٨٤.

وأشاد المستشرقون بجهود بعض المصنّفات المميّزة في هذا المجال: ككتاب (التثبيت) للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) في دراسة النّصرانيّة، وكتاب المقالات في أصول الديانات للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، وكتاب المقالات لأبي عيسى الوراق، وكتاب (ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) لأبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ)، وهو خاص بديانات الهند، وله كتاب خاص باليهودية (الآثار الباقية عن القرون الخالية)، وأطرى آدم متز على كتاب ما للهند قائلاً: «وجعله كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها لا كتاب حجاج وجدال، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم يتحرّج من حكاية كلامهم وإن باين الحقّ، فكان هذا الكتاب كتاب بحثٍ علميٍّ نزيهٍ»[١]. وغير هؤلاء كثيرون، وقد تصدّى في السّاحة الإسلامية العديد من الأقلام منافحين عن دور المتكلمين المسلمين في تأسيس هذا العلم وأنّه انتقل فيما بعد إلى أوروبا[٢].

ب. سوء فهم الآيات والمفسّرين

كما وقعت المقالة في التّعميم، وقعت أيضًا في سوء فهم الآيات وكلام المفسرين حولها، فأصدرت حكمًا يعمّ كلّ المفسّرين الذين اتّهمتهم بالتّذرّع بأنّ الآيات الدّالة على حريّة المعتقد، والمؤيّدة لثقافة التّسامح منسوخة بآيات السّيف.

وبإيجاز تذكر الباحثتان أنّ نسخ هذه الآيات وخاصّة آية: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ مسألة خلافيّة بين المفسّرين، وقد ذهب عددٌ منهم إلى أنّ هذه الآية والعديد من الآيات المشابهة هي أبيّةٌ عن النّسخ، وليس لها القابليّة أن تكون منسوخةً إلى جانب وجود بعض العلماء ممّن أنكر أصل النّسخ في القرآن الكريم، كأبي مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ) من المعتزلة، وابن الجنيد الفقيه الإمامي (ت٣٨١هـ)، ومن العلماء المعاصرين: الشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ)، والشيخ هبة الدين الشهرستاني (١٣٨٦هـ)، والشيخ محمد أبو زهرة (١٣٩٥هـ)، والشيخ

[١]- م. ن، ج١، ص٣٨٥.

[٢]- انظر: شلبي، أحمد، اليهودية، ص٢٧-٣٣.

هادي معرفة (٢٠٠٦م)، والسيِّد مرتضى العسكري (٢٠٠٧م)، والشيخ محمد الغزالي (١٩٩٦م)، وغيرهم...

ومن جهةٍ أخرى، ومن منظور أصول الرّؤية القرآنيّة لتنوّع الأديان وتعدّدها، كما طرحناها، لا تعتبر آيات السّيف ناسفةً لتلك الرّؤية، وكيف تنسفها، وقد شُيّدت على قاعدة الرّؤية التّوحيديّة للكون، والوجود، والإنسان، والحياة، وعلى أساس المقاصد العليا للدين والشّريعة؟ وبالتّالي فهذه الآيات تكمّل الصّورة التي عرضناها، وتحدّد للمسلمين الموقف من القوى الكافرة المحاربة، وهذا رأي قسمٍ كبيرٍ من المفسّرين والفقهاء، فقد اعتبروا أنّ حكم مقاتلة الكفّار ملاكه المحاربة لا الكفر.

فقد شُرّع الجهاد بالأصل للدفاع عن النّفس، ومن المهم أن نذكّر أنّ القرآن الكريم لم يشرّعه في بداية الدّعوة، بل كانت الآيات في فجر الرسالة، تأمر المسلمين بالكفّ عن القتال والصّبر على أذى المشركين، يقول تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ (المزمل: ١٠)، وتدعو المسلمين لإعلان الموقف العقائدي الواضح دون صدامٍ أو مواجهة: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ (الكافرون: ٦)، ولكنّ المشركين حاربوا المسلمين وحاصروهم وآذوهم، وحاولوا ممارسة كلّ الضّغوط؛ لإرجاعهم عن دينهم، باستنفاذ كلّ ما يملكون من نفوذٍ قبليٍّ وعشائريٍّ، وسلطويٍّ، وماليٍّ، ما اضطرّ المسلمين للهجرة مرّتين إلى الحبشة، وخروج رسول الله إلى الطائف ناشرًا رسالته، طالبًا النّصرة، وتُوّجت في الأخير المرحلة المكيّة بالهجرة إلى المدينة، ليجد هؤلاء المؤمنون ملاذًا آمنًا يحميهم من بطش قريش، واستبدادها بهم، وفي المرحلة المدنيّة نزل الإذن بالقتال والجهاد: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ (الحج: ٣٩)، فأصل تشريع الجهاد، كان للدفاع عن النّفس وردّ عادية الظالمين، وحتى لا يُفتن هؤلاء المستضعفون المهجّرون عن دينهم وعن الحق الذي أصابوه: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ (الأنفال: ٤٠)، ولمّا كان هذا الجهاد الدّفاعيّ مقصده الأساس إحقاق

الحقّ وإنصاف المظلومين نهى القرآن عن الاعتداء: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (البقرة: ١٩٠)، وحتى الموقف من أهل الكتاب الذين لم يأمر القرآن بمواجهتهم إلاّ بعد أن نكثوا العهود وانضمّوا إلى المعسكر المعادي المحارب: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**﴾ (الحشر: ١٤).

ولمّا كان مقصد الجهاد كما ذكرنا الدّفاع عن المظلومين، لا نجد البتّة في تتبّع الآيات التّعليليّة للجهاد موردًا واحدًا ينصّ على أنّ من هدف الجهاد إخراج الآخرين عن دينهم وإدخالهم عنوةً وبحدّ السّيف في الإسلام، فالأهداف التي نصّت عليها الآيات القرآنيّة، هي:

- **الدّفاع عن الحرمات وردّ العدوان:**

كما في قوله تعالى في (سورة الحج، الآية ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ (البقرة: ١٩١)، والآية الأخيرة صريحةٌ في أنّ القتال هو الردّ على اعتداءات المشركين والدّفاع عن الأعراض والدّيار، وعن حقّ المؤمنين أن يعيشوا في كنف دينهم في أمنٍ وسلامٍ، وعدم السماح للمشركين أن يفتنوهم عن دينهم، فالفتنة أشدّ من القتل؛ لأنّ مقصد حفظ الدّين أولى في منظومة الإسلام التّشريعيّة من حفظ النّفس.

- **الانتصار للمظلومين والمستضعفين**

يقول تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ (النساء: ٧٥)، ويقول أيضًا: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا**

لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢).

- **الرّدّ على نكث العهود ونقض المواثيق**

يقول تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢-١٣).

- **حماية ثغور المسلمين وردّ العدوان المحتمل**

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة، ٢١٧).

ويقول أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ١٢٣).

- **الدّفاع عن أهمّ حقٍّ فطريٍّ من حقوق الإنسان**

يعلّل السّيد الطباطبائي تشريع القتال: فيرى «أنّ الإسلام دين التوحيد، وهو مبنيّ على أساس الفطرة، وهو القيّم على إصلاح الإنسانيّة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)، فأهم الحقوق الفطريّة الإنسانيّة: هو إقامة هذا الدين والتّحفّظ عليه. وبالتالي يكون الدّفاع عنه حقّ فطريٌّ آخر: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤)؛ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١). وقال الله تعالى في ضمن آيات القتال من سورة الأنفال: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨)، ثم قال بعد آياتٍ عديدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ

لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)، فسُمّي الجهاد والقتال الذي يُدعى له المؤمنون محييًا لهم، ومعناه أنّ القتال، سواء أكان بعنوان الدّفاع عن المسلمين أو عن بيضة الإسلام أو كان قتالاً ابتدائيًّا، كلّ ذلك بالحقيقة دفاعٌ عن حقّ الإنسانيّة في حياتها، ففي الشّرك بالله سبحانه هلاك الإنسانيّة وموت الفطرة، وفي القتال وهو دفاع عن حقّها إعادة لحياتها وإحيائها بعد الموت»[١].

وبناءً على هذا التّحليل يغدو الجهاد أقرب إلى السّنّة التّاريخيّة الجارية، التي تضطرّ إليه الكثير من المجتمعات الإيمانيّة، حينما تواجه تحدّي الفتنة عن الدين، والتّهجير والمطاردة، وحينما توصَد في وجهها أبواب الدّعوة للرسالة الإلهيّة: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** (آل عمران: ١٤٦-١٤٧).

ت. الاستناد إلى آراء إشكاليّة

اعتماد آراء شخصيّاتٍ إشكاليّةٍ في العالم الإسلامي لتفسير المواقف المتناقضة من الآخر الدّيني: لم توفّق ماك أوليف ومساعدتها، في اختيار الأعلام الذين استشهدتا بآرائهم في الموقف من الآخر: فمن هو بن لادن حتى يكون عنوانًا للطرح الإسلامي؟ فمن العجيب حقًّا أن نستشهد به في دراسةٍ علميّة، والظّاهر أنّ شهرته الإعلاميّة خاصّة وسائر الأشخاص عمومًا في الغرب وفي العالم الإسلامي وراء الانتقاء، فقد كان (لابن لادن) في فترة إعداد الموسوعة وصدورها حضورًا إعلاميًّا لافتًا، خاصّة بعد أحداث (١١ أيلول ٢٠٠١م)، المنسوبة لجماعة القاعدة التي يتزعّمها، أمّا شهرة القرضاوي فسببها التّرويج له كرمزٍ للصحوة الإسلاميّة، والاعتدال الدّيني في التّسعينات والسنوات الأولى بعد الألفين، حين بلغت شهرته أوجها، وقد أدّت قناة الجزيرة القطريّة دورًا مهمًّا في تلميع صورته وإبرازه كزعيمٍ إسلاميٍّ لا يُضاهى،

[١]- تفسير الميزان، م. س، ج٢، ص٦٧.

ولكن بعد تداعيات ما سمّي بالرّبيع العربي، فقدَ هذه الموقعيّة التي مُنحت له، فقد اتّخذ مواقف متطرّفة إزاء بعض الفئات والمذاهب الدينيّة في البلدان الإسلاميّة، وأيّد توجّهات الجماعات التّكفيريّة القتاليّة الإجراميّة، وأصدر فتاوى بقتل زعماء سياسيين في بعض البلدان.

الشّخصيّة الفكريّة الأكثر احترامًا التي تعاطت معها المقالة، هو سيد قطب، ولكن بتصنيفٍ خاطئٍ، اعتمدت فيه على مشهوراتٍ سادت عن فكره، فقد ظُلم كثيرًا في تفسير أطروحاته، ونُسبت إليه الكثير من المقولات والآراء، ممّا لم يقله صراحة، لقد وَظّفت أفكاره بعض الجماعات لمصلحة توجّهاتها التّكفيريّة القتاليّة. وفي كلّ الأحوال، فإنّ شخصيّة سيد قطب هي شخصيّةٌ جدليّةٌ اختُلف جوهريًّا في تفسير تراثه وتوجّهاته، ومن جهةٍ أخرى، تُحاكم المقالة الرّجل دون الاستشهاد ولو بنصٍّ واحدٍ له يدلّل على زعمها فيه!.

رابعًا: الإشكالات المنهجيّة: الفرضيات المتوارية والسياقات الاستشراقيّة

في النقد المنهجي، نلحظ أنّنا إزاء خطابٍ بُنيَ على فرضيّاتٍ متواريةٍ، لم يُصرّح ببعضها، وزُوّق بعضها الآخر للقارئ، وسُرّب بعضها مموّهًا مواربةً.! وفي هذا المرقى الأخير من قراءتنا النّقديّة، سنتجاوز المنطوق إلى المسكوت عنه، ونسعى لكشف المستور المتخفّي وراء النّصّ، ووراء منابعه ومصادره؛ بالكشف عن هذه الفرضيّات والارتكازات الاستشراقيّة، التي -للأسف!- لا تزال مهيمنةً على المستشرقين الجدد، ونتأمّل في مدَيات أثرها على مضامين المعالجة وأسلوبها.

ونحن إذا دقّقنا في تفاصيل المقالة بجميع أقسامها سنكشف المزالق المنهجيّة الاستشراقيّة التي وقعت الباحثتان فيها، من ذلك اعتماد المنهج الفيلولوجي في شرح

معاني القرآن، والاستناد إلى الجذور السّريانيّة والآراميّة للغة العربيّة، وتوظيفها في تفسير دلالات بعض المفردات القرآنيّة، وادّعاء أنّ للقرآن مرجعيّة لاهوتيّة مسيحيّة ويهوديّة. إضافة إلى سيادة منطق الوضعيّة العلمويّة المتطرّفة والتعامل مع القرآن بمنأى عن مصدره المتعالي، والاستناد إلى مركزيّة العقل الغربي وإخضاع القرآن لهذه المركزيّة، وغيرها ... وهي فرضيّاتٌ خلنا أنّه في ضوء فشل الكثير منها، واعتراف المستشرقين الذين اعتمدوها أنفسهم بفشلها[١]، خلنا أنّ الدّراسات القرآنيّة الحديثة قد تحرّرت منها، ولقد تهاوى الكثير منها في ضوء الكشوفات الحديثة والبحوث الجديدة، وبعضها الآخر لن يصمد طويلاً أمام منطق التّاريخ وتكامل الوعي البشريّ: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ (فصلت: ٥٣).

وفيما يرتبط بالخصوص بموضوع دراستنا هذه، وسؤال هل يحوي القرآن نظريّة في التعدديّة الدينيّة؟ نسجل الإشكالات الآتية:

١. مركزية الإسلام السني

قد يكون المستشرقون الأوائل معذورين في استنادهم إلى مركزيّة الإسلام السّنّي في تنقيح الأطروحات الإسلاميّة، فقد تبنّى أولئك القراءة السّنّيّة الرّسميّة، التي تعتقد أنّ المذاهب الإسلاميّة الأخرى، الفقهيّة منها، والكلاميّة، هي مذاهب على هامش الإسلام المركزي السّنّي، ولكن مع التّطوّرات العميقة التي حصلت في العالم الإسلامي وبروز مذاهب إسلاميّة أخرى، احتلّت مكانةً بارزةً في الحياة الفكريّة

[١]- كمثال على ذلك يمكن أن نذكر تجربة نولدكه (ت ١٩٣٠م) وكتابه تاريخ القرآن، حيث اعتبر منهجه الفيلولوجي في كتابه هذا حماقة صبيانية، حيث جاء في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب تاريخ القرآن، منوّهًا بجهود صديقه شفالي الذي تصدّى لإعادة النظر في نسخة كتابه: «قد قام بقدر الإمكان بجعل الكتاب الذي أنجزته بسرعة قبل نصف قرن... أقول بقدر الإمكان؛ لأن آثار الوقاحة الصبيانية لن يمكن محوها بالكلّية، من دون أن يعاد تأليف الكتاب من جديد. بعض ما قلته حينذاك بقليل أو بكثير من الثقة انعدمت ثقتي به لاحقًا».

للأمّة الإسلاميّة، وفي المعادلات السّياسيّة للعالم الإسلامي، كان لا بدّ أن يلتفت المستشرقون إلى هذا التّحوّل ويتجاوزوا الانغلاق على المصادر السّنيّة والانفتاح، خاصّة على الإسلام الشّيعي، وهذا الذي دعا محمد علي أمير معزّي للدّعوة إلى ضرورة الاعتناء بالمصادر الشّيعيّة في دراسات القرآن الكريم: فأطلق ما أسماه القرآن الصامت مقابل القرآن النّاطق[١]، قاصدًا بالقرآن الصّامت الإهمال الذي تلْقَاه المصادر التّفسيريّة الشّيعيّة في الدّراسات القرآنيّة الغربيّة.

وفي المقالة، طغى في مقاربة الطروحات القرآنيّة والإسلاميّة منطق الإسلام السنّي المهيمن، وبدت مقولاته وآراء علمائه هي الحاضرة، ولن يشفع تعزيز قائمة المصادر بتفسير الميزان للسيد الطباطبائي (رغم مكانته وأهمّيته)، للادّعاء بأنّ المعالجة هي أكثر توازنًا وأقلّ تحيّزًا للإسلام النّاطق[٢].

٢. إهمال منهج الفهم

من المثير حقًّا أنّ مقالة التّعدّديّة تعكس تنوّعًا مناهجيًّا، فيتراءى لنا المنهج الفيلولوجي في تحليل المفردات، والمنهج الانتقائي في القراءة التّجزيئيّة للآيات

[١]- محمد علي أمير معزي (**Mohammad Ali Amir-Moezzi**): هو باحث ومستشرق فرنسي من أصل إيراني، ولد عام ١٩٥٦م. يشغل منصب مدير الدراسات في المدرسة التطبيقيّة للدراسات العليا (**EPHE**) في باريس، ويتولى كرسي دراسات «الإسلام الشيعي». يُعد من أبرز المتخصصين المعاصرين في الغرب في دراسة التشيع الإمامي المبكر، والقرآن الكريم، والتصوف الإسلامي. من أشهر مؤلّفاته: «الدليل الإلهي في التشيع المبكر»، و*«القرآن الصامت والقرآن الناطق»* (**Le coran silencieux et le coran parlant**)، كما أشرف على تحرير «معجم القرآن» الصادر بالفرنسية.

[٢]- بل إنّ إهمال الكثير من القضايا وتهميشها ربّما يعود لهذا السّبب (انظر مثلاً كيف تعاطت مع قصّة المباهلة في مقالة التعددية الدينيّة والقرآن ج٤ من موسوعة ليدن، من الوقائع التي تنقلها المقالة في معرض حديثها عن التفاعل مع الأديان الأخرى: قضيّة المباهلة مع نصارى نجران، فمع أنّ موضوع المباهلة يمثّل قضيّةً مركزيّةً في الجدل الإسلامي المسيحي حول طبيعة المسيح، نرى اختزالاً للأحداث وإغفالاً لسبب انسحاب وفد نجران عن المباهلة، وإعراضًا عن الحديث عن أشخاص وفد الرسولﷺ، والتي تمثّل الواقعة فضيلةً ومنزلةً إلهيّةً، خاصّة بهؤلاء (أصحاب الكساء)، وبالمقابل تُغرِق المقالة القارئ في التّحقيق حول معتقد وفد نجران والخلفيّة النسطوريّة للوفد!!!

وقد لُوحظ هذا التّحيّز حتّى في المقالات الأخرى التي كتبتها السّيدة جين ماك دومنيك للموسوعة، ومن ذلك مقالة فاطمة عن السيِّدة الزهراءؑ؛ حيث تحصر الآيات النّازلة في حقّ الزهراءؑ في حدود المشهور السنّي في المباهلة والتّطهير، (حتى الكوثر لا تعترف بنزولها فيها)، وترفض مقولة الكثير من العلماء وبالخصوص الشّيعة منهم بأفضليّة السّيدة الزهراءؑ على مريم البتولؑ. (انظر: موسوعة القرآن، م. س، ج٢، ص١٩٢-١٩٤).

القرآنيّة، والمنهج الإسقاطي في إسقاط مفاهيم معاصرة على الآيات (كتفسير مصطلح حزب وفرقة، مثلاً)، ومنهج التّأثير والتّأثّر في التّأكيد على تأثّر القرآن بالعهدين....

نجد كلّ هذه المنهجيّات، ولكن للأسف! لا نرى لمنهج الفهم، وقد كنّا نظنّ أنّه مع تنامي النّزعة الإنسانيّة والانثربولوجيّة عند المستشرقين الحداثيين، وتحرّرهم النّسبيّ من التّبعيّة الاستعماريّة والاستخباريّة، كنّا نظنّ أنّ منهج الفهم سيقوى ويتعزّز، وهذا المنهج يبدو حضوره ضروريًّا، خاصّة وأنّ المعالجة هي لمسألة التّعدّديّة الدينيّة والموقف من الآخر في الدّين والمعتقد، وهذا المنهج يُنسب لمؤرّخ الأديان الألماني يواكيم فاخ (١٨٩٨-١٩٥٥م)، ونظرًا لطبيعة موضوع تاريخ الدّيانات التي تستوجب على الباحث أن يحاول أن يفهم الدين كما يفهمه أصحابه.

ويُقارن فاخ بين علم اللاّهوت وعلم الأديان، فيرى: «أنّ علم اللاّهوت مهتمّ بفهم وتثبيت الإيمان، أمّا علم الأديان فيهتمّ بدراسة وفهم الأديان الأخرى، وهو لا يقضي على القيم الدينيّة، أو يهملها، ولكنّه يسعى إلى القيم الدينيّة التي توسّع الشّعور الدّيني وتعمّق الفهم الديني»[١].

وهكذا نادت هذه النّظريّة بضرورة الاتّصاف بسعة الأفق، والتّركيز على المشترك الدّيني، ومحاولة الإحساس بالدين وتجاوز كل الايديولوجيات، والافتراضات المسبقة، وأن نفهم ظواهر الدّيانات وندرسها في واقعها. ولكن للأسف هذا المنهج على أهمّيته تنكّبت عنه الدّراسات الاستشراقيّة؛ «إذ إنّ الغالبيّة العظمى من المستشرقين تخصّصوا في الدّراسات القرآنيّة من دون محاولةٍ منهم لفهم الإسلام من داخله، أو فهم الإسلام والقرآن الكريم كما فهمه المسلمون، ومحاولة تفسيره وتحليله من خلال مصادره الأصليّة والمعتمدة إلى الحدّ الذي يمكن القول معه إنّه بات هناك

[١]- البهنسي، أحمد، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشراقية (الاستشراق الإسرائيلي أنموذجًا)، ص٢٥-٢٦.

فهمان للقرآن الكريم، الأوّل فهمًا إسلاميًّا يتبعه المسلمون، والثاني فهمًا استشراقيًّا مغايرًا طوّره المستشرقون»[١].

وهكذا للأسف! لم تمثّل نظرية الفهم قضيّةً أو إشكاليّةً بالنّسبة للدراسات الاستشراقيّة، وهذه مفارقةٌ عجيبةٌ، فكيف لمن يتصدّى لدراسة الإسلام وحضارته والقرآن وقضاياه دون أن تكون إشكاليّة الفهم حاضرة؟؟؟ ولكن إذا عرفنا جذور الحركة الاستشراقيّة في التاريخ وأهدافها وارتباطاتها....انقضى العجب، لكن يظلّ السّؤال مطروحًا إزاء الدّراسات الغربيّة المعاصرة للقرآن، والتي تدّعي أنّها قطعت مع الاستشراق الاستعماري والتّنصيري والمخابراتي!!!!

٣. الانطلاق من فرضية ناجزة وإسقاطها على النصوص

من حقنا أن نتساءل ونحن نقف عند النهايات التي أدركتها الباحثتان بعد هذا التمشي الطويل: هل حقًّا أرادت الباحثتان بناء الرّؤية القرآنيّة للتعدّديّة؟ أم إنّهما انطلقتا من موقفٍ مسبقٍ ورؤيةٍ ناجزةٍ حول التّعدّديّة كما تفهمانها وحاكمتا القرآن في ضوء ذلك؟ قد تعيب الباحثتان على المؤمنين عقيدتهم بعصمة القرآن، وأنّنا لا نعدو قوله في الاعتقاد والتشريع، لكنّهما تغفلان أنّهما أيضًا تتسلّحان برؤيةٍ مطلقةٍ تمثّل ميزان الصّواب والخطأ، وتحاكمان القرآن والمفسّرين والمتكلّمين على أساس التّعدّديّة النّسبيّة التي آمنتا بها، والتي تعتقد بنسبيّة الحقيقة وصوابيّة كلّ الأديان وحقّانيتها، وأنّ كلّ الأتباع هي على سبيل نجاة (راجع الفصل الأوّل)، لكن لماذا لا يكون للقرآن تفسيره الخاصّ لتنوّع الأديان؟ ولماذا لا يكون للقرآن موقفه من التّعدّد؟ ولماذا لم تسعيا بجدٍّ لفهم نظريّة القرآن لا محاكمتها في ضوء القبليّات؟

هل جرّبتا أن تفهما الرّأي القرآني؟ هل جرّبتا أن تصغيا إلى قول القرآن؟

[١]- البهنسي، أحمد، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشراقية (الاستشراق الإسرائيلي أنموذجًا)، ص٢٧.

لو بذلنا جهدًا بسيطًا في هذا الاتّجاه لأدركنا عظمة الأطروحة القرآنيّة التي جمعت في رؤيتها للتعدّديّة بين العناصر الآتية:

أ. الواقعيّة المعرفيّة

أي بطلان النّسبيّة، والإيمان بوجود حقيقةٍ موضوعيّةٍ في الواقع، وفي نفس الأمر، ويمكن للناس أن يدركوها ويمكن أن يخطّئوها، أمّا الادّعاء بأنّ كلّ ما أصابه النّاس من مفاهيم وعقائد شتّى هي صحيحة، فهذا لا يقود في النّهاية إلّا إلى السّفسطة وهدم أساس كلّ علم وكلّ معرفة. ففي المنطق القرآني ليس بعد الحقّ إلّا الضلال: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (سبأ: ٢٤).

ب. حقّانيّة الدّيانات السّماويّة التاريخيّة (الإسلام العام) ومشروعيّتها، وخاتميّة الدّيانات (الإسلام الخاص)

وهذا ما تمّ الاستدلال عليه آنفًا بآياتٍ عديدةٍ. فالدّين الإلهيّ في المنظور القرآني، هو مسارٌ تاريخيٌّ تلبّس نبوّة الأنبياء في تسلسلهم الزّمني، حتى توّج بنبوّة النّبيّ محمدﷺ، فالدّين الإلهيّ عبر التّاريخ روحٌ واحدةٌ: ساريةٌ من آدم إلى محمدﷺ.

ت. عدم الملازمة بين المشروعيّة والنّجاة

أو عدم الملازمة بين الحقّانيّة والخلاص: فقد يهلك من يكون صاحب ديانةٍ مشروعةٍ بسببٍ أو بآخر (كفر عملي، تمرّد وعصيان)، وقد ينجو صاحب عقيدةٍ فاسدةٍ لقصوره.

ث. التّمييز بين القاصر والمقصّر

فالنّاس منهم مقصّرٌ بمعنى أنّه يملك كلّ المؤهّلات العقليّة والنّفسيّة والماديّة لإدراك الحقّ وبلوغ الدّين الصحيح، فهذا إن أخطأ الطريق الإلهي يحاسب، ولا

يكون من أهل الخلاص، أمّا من كان قاصرًا بمعنى لا يمكن حسب طبيعة إمكاناته وظروفه المحيطة به أن يصل إلى الحقيقة، فهذا معذورٌ (كالمستضعفين الذين لا يملكون حيلة). ويذهب الكثير من العلماء إلى أنّ أغلب الكفّار هم من القاصرين، سواء أكانوا من العوام أم من العلماء، وهذا رأي الإمام الخميني قدس سره ورأي الشيخ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٣هـ)، والشيخ جواد مغنيّة (ت ١٩٧٩م)[١].

ولكن للأسف! تقف المقالة على مسافةٍ من منهج الفهم، ولولا أن نسيء الظّنّ، بجهود الباحثتين لقلنا: «وكأنّ المطلوب هو عدم الفهم لا الفهم!!!».

إنّ هذه المعضلة، ستبقى تتوالى، ما دامت مركزيّة العقل الغربي مهيمنة، وما دام المستشرق يأتي للقرآن في مسعًى للإسقاط والمحاكمة، عندما يأتي هؤلاء بقصد الفهم والإنصات الواعي والحيادي للقرآن وإيحاءته الفكريّة في فضائه الخاص، قد يحقّقون هدفهم.

[١]- انظر: الخشن، حسين، أصول الاجتهاد الكلامي، ص١٨٣-١٨٦.

الخاتمة

هذه حصيلة قراءتنا التّقويميّة للسؤال المركزي في مقالة التعدّديّة الدينيّة، وهي كما تتراءى أمام النّاظر تستوجب مراجعةً عميقةً وإعادة نظرٍ في العديد من الأسس والقواعد، فضلاً عن الأفكار والمواقف، وللأسف! ورغم تأكيد السّيدة جين ماك أولف في مقدّمة الموسوعة أنّ عملهم قام على ازدواجيّة تجمع بين الماضي والمستقبل، كأفقٍ جديدٍ للدّراسات القرآنيّة، ولكن يبدو أنّ سلطة الماضي بما تختزنه من إرثٍ استشراقيٍّ ثقيلٍ أبعدت الموسوعة أو على الأقل المقالة عن آفاق المستقبل، ولكن ما يهوّن الخطب هو تأكيد السيدة ماك أولِف على الاستعداد الدّائم للتطوير والمراجعة في الطّبعات اللاّحقة، فإنّ الموسوعة مدعوّةٌ فعلاً لهذه المراجعة، لعلّها تُحقّق هدفها في جعل القرآن متاحًا لفهم الإنسان عمومًا وفي الغرب خصوصًا بما ينفع فعلاً هذا الإنسان بتقريب الحقائق منه وإبعاد الأوهام عنه، وإلاّ فإنّ هذا العمل لن يكون له نفع في منطق القرآن نفسه:

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧).

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. البهنسي، أحمد، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشراقية (الاستشراق الإسرائيلي أنموذجًا)، مجلة دراسات استشراقية، العدد الثاني، خريف ٢٠١٤م.

٢. الخشن، حسين، أصول الاجتهاد الكلامي، المركز الإسلامي الثقافي، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٣. رامون هارفي، القرآن والمجتمع العادل، مطبعة جامعة إدنبرة، ٢٠١٨م.

٤. رينولدز، غابرييل سعيد، القرآن والإنجيل: النص والتعليق، مطبعة جامعة ييل، ٢٠١٨م.

٥. رينولدز، غابرييل سعيد، القرآن وسياقه الكتابي، دراسات روتليدج في القرآن، المجلد العاشر، لندن ونيويورك، روتليدج، ٢٠١٠م.

٦. ساشادينا، عبد العزيز، الفصل الرابع عشر: القرآن والأديان الأخرى، تحرير: جين دامين مكأولف، موسوعة كامبريدج المرافقة لدراسة القرآن، مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٠٦م.

٧. سري، منعم، الجدل النصي: القرآن والأديان الأخرى، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، ٢٠١٤م.

٨. شلبي، أحمد، اليهودية، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧م.

٩. شنايدر، إيرين وآخرون، موسوعة الإسلام والمسلمين، الطبعة متعددة المجلدات، مدخل: التعددية القانونية والعرقية الدينيّة.

١٠. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١١. فاجدا، جورج، موسوعة الإسلام والمسلمين، مدخل: أهل الكتاب.

١٢. فريدمان، يوهانان، التسامح والإكراه في الإسلام: العلاقات بين الأديان في التقليد المسلم، مطبعة جامعة كامبريدج، ٢٠٠٣م.

١٣. قيدارة، الأسعد بن علي، التعددية الدينيّة والقرآن الكريم، كتاب: القرآن الكريم في الفكر الاستشراقي المعاصر، (مقاربات نقدية لموسوعة القرآن ليدن)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢١م.

١٤. لامبتي، جروشا تانر، ليس الآخر أبدًا: لاهوت مسلمة للتعددية الدينيّة، مطبعة جامعة أكسفورد، نيويورك، ٢٠١٤م.

١٥. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٥، لا. ت.

١٦. مكأولف، جين دامين، المسيحيون في القرآن: تحليل للتفسير الكلاسيكي والحديث، مطبعة جامعة كامبريدج، ط١، ١٩٩١م.

١٧. مكأولف، جين دامين، مدخل: أهل الكتاب، موسوعة القرآن الكريم، الصادرة عن دار بريل في ليدن.

١٨. مكأولف، جين دامين؛ فريق التحرير المساعد، موسوعة القرآن الكريم الصادرة عن دار بريل في ليدن، مدخل: التعددية الدينيّة والقرآن، المجلد الرابع، سنة النشر ٢٠٠٤م.

19. The new Encyclopedia Britannica: «study of religion», Vol.15, by Safra, S. Yannias, James E. Goulka, 15th ed, 1998, Chicag.